العـدد
1

مخيم

صـدى النـزوح

مجلة دورية تُعنى برصد ومعالجة الانعكاسات الاجتماعية لحرب الإبادة التي يتعرض لها قطاع غزة

غزة - فلسطين

ابريل ٢٠٢٦

مخيّم

نحـــن صـــــوتكم

قبل أي شيء، هذا النص ليس بطاقة تعريفية عنّا، بل لعلّه بداية لمسار نحفظ فيه ما تبقّى من الحكاية. لا نعلم إلى أي مدى سيصل صوتكم وصوتنا، لكن يكفينا أن نحاول النجاة بالصوت والكلمة.

عزيزنا القارئ، المجروح منكم والنازح ، إلى الأم المكلومة، والأب المثقل بعبء هذه الإبادة، إلى طالب العلم المبتور، وإلى زوجة الشهيد وشقيقته، وإلى سكان الخيام، وإلى كل شخص عاش زمن الإبادة وما زال يعيش أوجاعها؛ لدينا يقين تام أنكم بالكاد تلتقطون أنفاسكم من كدّ الحياة وما خلّفته الحرب الممتدة على الأصعدة كافة. اسمحوا لنا أن نكون منبرًا لكم.

قد يسأل أحدنا من داخل الخيمة أو على سرير المرض: ماذا يفيد الكلام؟ لكن، وعلى قاعدة أن "الكلمة" هي معجزة الله الباقية، وبجانب أننا أصحاب حق ومن أولياء الدم، قد يكون من الواجب والضروري على كل شخص مدرك وواعٍ بغزة أن يقوم بواجبه بقدر ما استطاع. وعلى هذا انطلقت فكرة هذه المجلة التي ستصدر بشكل دوري.

في ملخص رؤيتنا، سنركز على القضايا الاجتماعية المركزية والحساسة في قطاع غزة، وخاصة القضايا التي تعرضت وما زالت تتعرض لآثار الإبادة الصهيونية. وستتناول المجلة عدة ملفات كمرفقات، وسيُخصص فيها زاوية للقصة الإنسانية ضمن إطار توثيقي للمجازر الإسرائيلية التي ارتُكبت بحق الآلاف من عوائل غزة، وزاوية أخرى لمقالات ورؤى لخبراء متخصصين في الشأن الاجتماعي.

ختامًا، لن نفرض عليكم رؤيتنا، لذلك ترك فريق العمل زاوية مخصصة لعرض آرائكم وتعليقاتكم وملاحظاتكم، التي ستُسهم في تشكيل هويتنا.

قطـــاع غزة_ فريق التحـــرير

في زمن الإبادة والخيمة

إلى أين وصلت العلاقة الأسرية بغزة؟

مراسلتنا_ آسيا عمر

هناك عوائل في قطاع غزة، نجت من آلة الموت الإسرائيلية طوال فترة الإبادة على غزة التي امتدت لـ ٧٠٠ يوما، ولكن بلا شك هذه النجاة جزئية، فالذي نجى بجسده ولم يفقد أحدا من عائلته، لم ينجو من أثارها النفسية وانعكاستها على واقع نسيج الأسرة بغزة، خاصة أن أغلب الأسر فقدت منزالها وخاضت تجربة النزوح وأصبح منزلها خيمة لا تقي من حر الصيف ولا برد الشتاء.

في سياق ما، من خلال هذا الرصد الميداني لواقع العوائل بغزة التي أضحت الخيمة الملاذهم الأخير، ممكن القول فيه إن الحرب الحقيقة على سكان القطاع، قد بدأت.

على باب خيمتها المُرقّعة بأكياس الطحين الفارغة، تجلس سهير إبراهيم (٣٧ عاماً) في مخيم السرايا وسط مدينة غزة، تراقب المارة من بعيد. وحين يلمحها أحدهم، تواري نفسها، فهي لا تزال في عدّتها بعد طلاق وقع عليها قبل شهرين ونصف، الأمر المؤسف أن الطلاق وقع بعد علاقة جميلة وطويلة امتدت لأكثر من ثلاثة عشر عاما.

بلهجتها الغزّية البسيطة، تحكي أنها كانت تعيش "ملكة" في بيتٍ حلمت به مع زوجها في مخيم الشاطئ، لكن بعد الأسبوع الأول من الحرب نزحت إلى جنوب الوادي، وبقيت تتنقل بين مراكز الإيواء والمدارس، وفي كل مرة كانت هي أطفالها ينجون من الموت. ثم انتقلت إلى الخيام، في حياة لا تشبه حياتها قط، كما تصف.

بدأت المشاكل مع "سهير" وزوجها عند انتقالهم إلى الخيام، فكان ينفث غضبه فيها، ويجبرها على الوقوف في طوابير التكايا والمياه، بينما كان يتذمر طوال الوقت، وكأن "الحرب وقعت عليه وحده" وفقا لتعبيرها.

ما يثقل كاهلها ليس فقط ما مرت به، بل أن قصتها تحولت إلى حديث يومي يتناقله الجميع في المخيم، فجدران الخيمة الرقيقة لا تحفظ سرًا، ولا تردّ همسًا.

تقول بصوت خافت: " والله يختي، صارت قصتنا على كل لسان، صرت أخجل من حالي، العيشة في الخيمة، قبر فوق الأرض بكل ما تحمله الكلمة من معنى".

ترك زوجها لها الخيمة التي رفضت الكشف عن اسمه، حافظا على "العشرة" وفقا لتوصيفها، وانتقل إلى مخيم يقع جنوب القطاع ونصب خيمة لوحده، كل ما تفكر به الأم والمرأة المطلقة، هو مصير أطفالها الثلاثة. (أكبرهم محمود تسعة أعوام وأصغرعم لمى أربعة أعوام).

حكايات مختلفة، ربما تُسمع للمرة الأولى، عن الحياة الاجتماعية لدى العائلات الغزّية في مخيمات النزوح التي

حلّت محل الأحياء السكنية، فقد تآكلت الحدود بين "العام" و"الخاص"، وأصبحت الأسرة الغزّية تعيش "حياة عارية" مكشوفة أمام الآخرين، ما أدى إلى ضغوط نفسية واجتماعية هائلة.

وتشير المعطيات إلى أن هذا التكدّس القسري وانعدام الخصوصية يسهمان في ارتفاع معدلات العنف الأسري، ومعدلات الطلاق بقطاع غزة بين عامي ٢٠٢٣ و٢٠٢٥، مدفوعاً بالظروف الاقتصادية والاجتماعية القاسية، حيث سُجلت مؤشرات على انخفاض معدلات الزواج مقابل ارتفاع حالات الانفصال.

خلاص أم تخلص؟!

هنا حكاية مختلفة، تعود تفاصيلها إلى ذروة المجاعة الأولى في شمال قطاع غزة، صيف عام ٢٠٢٤.

ثلاث فتيات يتيمات، تولّى عمّهن رعايتهن بعد وفاة والدهن وزواج والدتهن.

تقول كبرى الشقيقات، نرمين حسن (١٩ عامًا)، إن عمّها كان قبل الحرب يعاملهن بلطف، ويبذل ما بوسعه لإعالتهن، كنّ يعشن في حي التفاح – منطقة الشعف، قبل أن يُقصف منزلهم مع بداية الحرب، فيضطررن للنزوح إلى حي الدرج وسط مدينة غزة.

من داخل خيمة زوجية مهترئة في ملعب اليرموك، تروي نرمين قصتها بصوت يختلط فيه الانكسار بالدهشة: "لم يعد عمي قادرًا على إطعامنا، فقرر تزويجي أنا وشقيقتي، بمهرٍ لم يكن يتجاوز كيس طحين آنذاك".

سحبت شهيقا وألحقته بزفير ثم تتابع:"لم يكن لدينا ما نرتديه، فاستعارت لنا زوجته ملابس مستعملة من الجيران،لم يكن هناك فرح، فقط انتقلتُ من خيمة عمي إلى خيمة زوجي".

وتضيف:"أختي الصغيرة تزوجت وهي في الخامسة عشرة، واليوم تحمل طفلًا رضيعًا. لو كان والدي حيًا، لما حدث كل هذا، أحيانًا أسأل نفسي: هل كان زواجنا خلاصًا لنا، أم تخلّصًا منا؟".

ولي الأمر كان له مكانته قبل الحرب، فالأب الذي كان يوفر الحماية والمأوى لعائلته، بات اليوم عاجزاً حتى عن توفير "سترة" خيمة، ما يزعزع مكانته الاجتماعية والرمزية داخل الأسرة، ويدفع بالأبناء والزوجات إلى البحث عن مصادر بديلة للحماية والبقاء.

بين نارين

أما حكاية الشاب يوسف مسعود "٢٨ عاما"، لم تنتهي بعد، فما زال عالقا بين التعامل بالود والرحمة مع زوجته أسيل "٢٥ عاما"، وتعامل مع البر والإحسان مع وأمه فاتن" ٤٨ عاما"، إذ اندلعت حرب داخلية بين الزوجة والأم، والسبب على أشياء أقل من بسيطة كما يصفها يوسف.

بدأت الحكاية، بعد أن نزح يوسف مع زوجته التي تحمل رضيعة واسماها على اسم والدته، وعائلته المركبة من مخيم جباليا إلى غرب دير البلح، ونصب خيمتين هناك، ومع مرور الأيام والأحداث، اشتد خلاف بين الأم والزوجة، على الطعام مرة وعلى النظافة إلخ.

يقول يوسف الذي كان يعمل محاسبا في إحدى شركات البناء:" العيش في الخيمة، احيانا تفقدك الصبر في المعاملات مع الأخرين، دوما أنت في حالة توتر بالكاد تستطيع تحمل نفسك، لكن أمي وزوجتي فقدن صبرهن على هذه الظروف، وأصبحن علاقتهن سيئة جدا، خلصنا من حرب إسرائيل، اجت حرب النسوان".

الشاب المحاسب، يتمتع بذكاء اجتماعي، يحاول دوما تذليل العقابات بين أمه وزوجته، يفشل مرة وينجح مرتين وهكذا. يختم :" ما أخشاه هو أن افقد صبري،وأن أخسر الجميع، أمي وزوجتي يضعوني يوميا تحت ضغط وتوتر، لكن أنا متفهم الظروف النفسية نتيجة واقع العيش بالخيمة إلي بالكاد يتحملها الحيوان".

اكتئاب النساء وتوتر الرجال

الاختصاصية النفسية إيناس الخطيب تقول إن الحياة داخل مخيمات النزوح تفرض ضغوطاً نفسية واجتماعية قاسية على الرجال والنساء معاً، نتيجة الفقر، وفقدان الأمان، وانعدام الخصوصية داخل الخيام، موضحة أن النساء يواجهن أعباء مضاعفة في رعاية الأسرة وسط الخوف المستمر، ما يجعلهن أكثر عرضة للاكتئاب والقلق والاستنزاف النفسي، فيما يعاني الرجال من فقدان دورهم التقليدي كمعيلين، وما يرافقه من شعور بالعجز وفقدان القيمة.

وتضيف الخطيب:" هذا الواقع المشترك يخلق حالة من التوتر داخل الأسرة، قد تتجلى في العنف أو الانسحاب أو التفكك الأسري، مشددة على أن مواجهة هذه التداعيات تتطلب توفير دعم نفسي واجتماعي متكامل يستهدف الأسرة ككل، ويعزز قدرتها على التكيّف والصمود في ظل الظروف القاسية.

وتشير الخطيب إلى أن الحياة داخل مخيمات النزوح لا تفرض ضغوطاً على النساء وحدهن، بل تمتد آثارها القاسية لتطال الرجال أيضاً، في ظل واقع اقتصادي واجتماعي منهار، وانعدام شبه كامل للخصوصية داخل الخيام، ما يجعل الأسرة تعيش حالة مكشوفة ومستمرة من التوتر.

وتوضح أن النساء يتحمّلن أعباء مضاعفة، إذ يجدن أنفسهن مسؤولات عن رعاية الأطفال وتأمين الاحتياجات اليومية في ظل شح الموارد، إلى جانب الخوف المستمر من العنف وفقدان الأمان، الأمر الذي يرفع معدلات الاكتئاب والقلق واضطرابات النوم لديهن، ويؤدي إلى استنزاف نفسي وعاطفي حاد.

في المقابل، تلفت الخطيب إلى أن الرجال يواجهون صدمة من نوع آخر، تتمثل في فقدان دورهم التقليدي كمعيلين وحماة للأسرة، مع العجز عن توفير أبسط مقومات الحياة، ما ينعكس شعوراً بالانكسار وفقدان القيمة، وقد يتجلى في سلوكيات غاضبة أو انسحابية نتيجة الضغوط المتراكمة.

وتشير إلى أن التقاء هذه الضغوط لدى الطرفين داخل مساحة ضيقة ومكتظة، ومن دون أي خصوصية، يفاقم من حدة التوتر داخل الأسرة، ويزيد من احتمالات العنف الأسري أو التفكك، في ظل غياب مساحات التفريغ النفسي أو الدعم الكافي.

وتؤكد الخطيب أن هذه الحالة لا يمكن التعامل معها من زاوية فردية، بل تتطلب مقاربة شاملة تقوم على توفير دعم نفسي واجتماعي متكامل يستهدف الرجال والنساء معاً، ويساعدهم على التكيّف مع الأدوار الجديدة، والتخفيف من حدة الضغوط، بما يعزز صمود الأسرة في مواجهة واقع قاسٍ وغير مسبوق.

حكــاية

جــاءت عروســة وعــادت عنقــاء جريحــة

مخيم جباليا _ حمزة خليل

عند الرشفة الأخيرة من كوب الشاي، هاجمتها كرة نار ضخمة جدا، لتدخل في فضاء لا حد له، لا يشرح بالكلام، يذاق بخوارزمية الروح، لن يتفهم هذا الشعور إلا من خاض التجربة، من كل جانب يحيطك دخان أبيض بارد ونقي. تطير بهذا الحيز بسرعة عجيبة، مجازيمكن وصفها بأنها أسرع من السرعة، تشعر أنك أخف من ذرة الهواء.

كان زوجها يفتح لها ذراعيه وأطفالها يلوحن لها بالاقتراب، وعلى بعد خطوة أو خطوتين منهم، فجأة سمعت صوتا دافئا جهوريا ملأ أرجاء المكان: "حتجتمعي فيهم، لكن وقتك مش الآن".

على وقع هذه العبارة، وبذات السرعة؛ شيء سحبها إلى أسطوانة حلزونية وما هي إلا لحظات حتى شعرت بجسدها بأنه أثقل من المحيط،لا تستطيع أن تحرك أطرافها، حتى أن مقلتا عينيها شعرت أن وزن كل مقلة رطلا، في الربع الساعة الأولى فقط كانت تسمع صوت طنين جهاز طبي، وأحاديث رجال مختلفة، وصراخ وبكاء في كل مكان.

حين استطاعت فتح عينيها بعد نصف ساعة، أدركت أنها عادت إلى الحياة مرة أخرى. ولكن ما ينتظرها حياة مختلفة ستحاول سماح أن تشاركنا إياها.

بذرة الحب

نهاية عامها الدراسي لتخصص التعليم الأساسي في جامعة القدس المفتوحة، وتحديدا في مايو عام ٢٠٠٥، تعرفت الشابة الفلسطينية سماح أبو سلطح ابنة مخيم بلاطة قضاء مدينة نابلس الواقعة شمال الضفة المحتلة، على الشاب الفلسطيني محمد عكاشة من مخيم جباليا شمال قطاع غزة، كان وقتها يعمل موظفا في جهاز الأمن الوطني.

وقد جاء عكاشة بصحبة المئات من شبان قطاع غزة إلى مدن الضفة المحتلة في الأشهر الأولى حين فتحت (إسرائيل) ما يعرف بـ "الممر الآمن"في نهاية التسعينيات من القرن المنصرم، ومع دخول انتفاضة الأقصى في خريف ٢٠٠٠، عزل قطاع غزة عن مدن الضفة المحتلة، وأصبح السفر إلى مدن الضفة أو القدس يلزم إجراءات معقدة ويسمح فقط لكبار السن.

يكبر محمد سماح بعامين، هو من مواليد صبيحة اليوم العشرين من مارس لعام ١٩٨٢، وهي من مواليد منتصف إبريل عام ١٩٨٤.

فور انتهاء العام الأول من علاقة الصداقة التي بناها الشابين، تقدم محمد لطلب يد سماح من عائلتها وتكون زوجة له، لم تكن الأمور من طرف والديها بما يريده محمد وسماح، إذ رفضت العائلة بالمطلق فكرة أن تغترب ابنتهم إلى قطاع غزة، خاصة أن القطاع تم عزله وفرض عليه حصارا مشددا، خاصة بعد العملية العسكرية التي نفذتها المقاومة في جنوب القطاع وأسفرت عن اعتقال جندي إسرائيلي المعروف كان وقتها بـ "جلعاد شاليط".

ولأن المصائب لا تأتي فرادة، بعد رفض العائلة لطلب محمد، تعرض بعدها لشهرين لإصابة حرجة حين سكنت قدمه اليسرى رصاصة، بعد ما فتحت القوات الإسرائيلية النيران على مجموعة أو دورية من رجال الأمن الوطني.

مرت الأيام والأشهر وتعافى محمد تدريجيا، طوال تلك المرحلة، انقطعت أخباره عن عائلته، وكأن البحر قد بلعه، وفي الاتصال الأول أجبرته العائلة على العودة لتطمئن عليه. استجاب محمد وعاد. بعد ما هدأ روع العائلة، حاول الشاب مرارا وتكرارا السفر مرة أخرى لنابلس لكن كان يقابل بالمنع الإسرائيلي.

وفاء وإصرار

لم يكن أحدا يعلم بالحالة النفسية التي كان يمر بها محمد، فبجانب أنه شخص كتوم وصامت، إلا أن محاولاته الدائمة والاتصالات مع شخصيات اعتبارية من غزة والضفة المحتلة كانت تفضح ما يمر به. في ذات الوقت كانت سماح بذات الحالة.

استمر هذا الحال لمدة ست سنوات، دون كلل ولا ملل من مساعي محمد ومن الانتظار الصامت لسماح؛ سمعت مرة من أحد كبار السن عبارة "الحب ما بنام"، وربما قد تكون هذه الكلمتين اختصار لحكاية محمد وسماح في ذلك الوقت.

في عام ٢٠١٢، ومع قدوم الرئيس المصري الراحل محمد مرسي، والذي على أثره شهد معبر رفح الذي يعد المنفذ الوحيد لقطاع غزة للعالم انفراجة كبيرة لحركة المسافرين الفلسطينيين والبضائع علما أن طوال سنوات الحصار التي سبقت قدوم مرسي كان معبر رفح شبه مغلق.

أصرت سماح على فكرة السفر إلى قطاع غزة من خلال الأردن من ثم مصر والدخول إلى غزة، استجاب والديها لقرارها، ونزلا معها.

بنبرة هادئة تمرر سماح عبارة مستذكرة تلك اللحظات قائلة: "أخذت القرار لأنه ما كان عندي حساب لأي شي، سوى أنه نكون مع بعض(..) عائلتي كان عندها تخوفات من أنه البيئة مختلفة جداً عن حياتنا واضافة للغربة وفعلا، غزة غربتها أصعب من أي غربه تانية، لكن مثل ما حكيت لك أنا ما كنت أفكر إلا أنه أكون معه وخلص".

في خريف غزة عام ٢٠١٢، كان ربيع سماح ومحمد، واجتمعا أخيرا كعروسين تحت سقف واحد بعد سنوات عسيرة، توجت نتيجة إصرار ووفاء.

حكاية نجاح سماح ومحمد في لم شملهما، تكاد تكون من الحالات المعدودة التي لا تتجاوز أصابع اليد، إذ مئات القصص بين علاقات مخطوبين من غزة والضفة أو علاقة حب لم تنتهي بالزواج، نتيجة المنع الإسرائيلي من سفر أحد الأطراف، بعض تلك العلاقات قتلت في مهدها، وأخرى امتدت لسنوات طويلة ومحاولات شتى لكن باءت بالفشل، سمعت مرة أن سيدة من غزة بقيت مخطوبة لأكثر من ثمان سنوات لأحد أبناء عمومتها بمدينة جنين، لكن للأسف الجيش منعها من السفر وكتب لهذه الحكاية أن تنتهي بزواج الرجل من فتاة أخرى. ولم يعرف مصير الفتاة المعلقة وقت صياغة هذه القصة.

حي السنايدة.. المنزل الأول

قبل الغروب بساعة أذكر كان أول دخول لسماح مع محمد، لمخيم جباليا وتحديدا المربع السكني الذي تقطن فيه عائلته والذي يدعى حي السنايدة، نسبة لأن أغلب سكان الحي من قرية دير سنيد المحتلة، وقتها جميع نساء الحي كبار وصغار يقفن على بوابة منازلهن، ليرحبن بسماح.

فيما الأطفال يرتدون لباس جديدة، وعجائز الحي زينن أنفسهن بالثوب الفلسطيني جالسات على بوابة منزل عائلة محمد بصحبة والدته التي تدعى زينب.

ببساطة لم تكن الفرحة لمحمد فقط او لعائلة عكاشة، إنما لجميع سكان الحي الذي عشت فيه مرحلة طفولتي التي تكاد مساحته تكون قريبة من مساحة ملعب كرة قدم، والذي فيه قرابة ٤٠ عائلة مختلفة، لكن أغلبها يعود لعائلة أبو القمصان وحجازي وأبو نصر.

يقع حي السنايدة أو بلوك "٦" في عمق مخيم جباليا، ويعد من الأحياء الأكثر حيوية، فهو يربط عمق المخيم مع السوق المركزي الوحيد للمخيم.

للإشارة، الآن حوالي ١١٩,٥٤٠ لاجئاً مسجلاً يعيشون في هذا الفضاء الذي يغطّي مساحة من الأرض تبلغ فقط ١,٤ كيلومتر مربع، بحسب الموقع الرسمي لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين "أونروا".

بعد أيام، أقيم حفل زفاف لمحمد وسماح، وحضر الكثير من نساء المخيم، بعضهن ليس لهن صلة بعائلة عكاشة ولكن بحكم بساطة نساء المخيم حضرن الحفل ليشاهدن العروسين اللذين تجاوزا صخرة المنع الإسرائيلي.

تقريبا منزل عائلة محمد في ذلك الحي، من المنازل القليلة المرتفعة ذات ثلاثةأدوار، فأغلب منازل حي السنايدة مغطاة بالكرميد الأبيض وبعضها من الصفيح، عمر تلك المنازل تجاوز الستين عاما.يشبه تراص أو موقع المنازل في المخيم كعلبة الكبريت، جميع المنازل تشبه بعضها، الاختلاف فقط في لون بوابة المنزل والنوافذ. الجدران مشتركة، وبعض المنازل يفصلها عن بعضها قرابة نصف متر أو أقل.

شيدت تلك المنازل بعد ما أقتنع أغلب الفلسطينيين الذين هجروا من أراضيهم المحتلة المحاذية لقطاع غزة أنه لا عودة. فكل قرية أو بلدة جمعت نفسها وأخذت مكانا من مخيم جباليا، لذلك بعض الأحياء يطلق عليها مسميات نسبة لسكان البلدة التي هجروا منها، فمثلا أشهر شوارع مخيم جباليا هو شارع الهوجا نسبة لأن أغلب سكانه من بلدة هوج المحتلة.

رغم أن منزل عكاشة ذو أدوار ثلاثة، إلا أن مساحته صغيرة، وبحكم أن عدد العائلة كبيرة، فهو الابن الثاني من بين ١٤ ابن، أتخذ بشكل مؤقت غرفة صغيرة في الدور الأخير، مكث العروسين في حي السنايدة قرابة عام.

لضيق المكان وكبر العائلة تنقل محمد بصحبة عروسته لعدة شقق مستأجرة في أحياء مختلفة من غزة، كحي النصر والشيخ رضوان البعيدة نوعا ما عن مخيم جباليا قرابة سير على الأقدام لأربعين دقيقة، لكن لم تنسجم سماح مع هذه الأجواء فاختارت العودة للمخيم أو كما نسميه نحن أبناؤه المعسكر.

تعلق هنا سماح:"ما قدرت اتحمل هيك عيشة، ورجعت للمعسكر(..)، علاقتي بأهل محمد كثير طيبة، وهما أهلي، لما ابعدت عنهم وعن أهل المعسكر شعرت فعلا أني انقطعت عن أهلي". بحكم علاقات محمد عثر على شقة مستأجرة على أطراف مخيم جباليا وقريبة من منزل عائلته.

حياة كاملة مكتملة

بدأت شخصية العائلة تظهر ملامحها بين سماح ومحمد، تصف زوجها أنه حنون بطبعه، ولدي حس ذكاء اجتماعي عالي، وشخصية مبتسمة، وعلى مساحة قريبة من الجميع من عائلته.يتمتع محمد بروح مرحة وشخصية حيوية لكن بذات الوقت كان عنيدا في بعض المواقف، وحين يغضب يصمت.

تكمل سماح كعادتها بالعبارات المختصرة:" ما في انسان كامل بالدنيا والكمال لـ الله عز وجل، لكن بالنسبة لي محمد انسان قريب من الكمال".

بعد ثلاث سنوات، تفتحت أول زهرة في بستان سماح ومحمد، حين انجبت الأم رضيعا ذكرا وأطلق عليه اسم عميد، كان ذلك في اليوم الثاني لشهر مارس عام ٢٠١٥.

الذي اختار اسم عميد، هو محمد، ووقع اختياره على هذا الاسم، لأن زوجها كان يحب ابن صديقه في نابلس يدعى بذات الاسم.

في العام التالي وتحديدا في الرابع عشر من أغسطس لعام ٢٠١٦، أنجبت سماح مولودا ذكرا، احتار الزوجين في تسميته، كان الاسم المرشح هو كنان، لكن محمد رفض الاسم متعذرا أنه بحاجة لاسم نادر، فاختارت الأم سماح اسم المولود الثاني "ركان".

بعد ثلاث سنوات من قدوم ركان، ختمت العائلة بستانها في آخر وردة، حين أنجبت الأم في الحادي عشر من مارس عام ٢٠١٩، مولودة وأطلقت عليها مباشرة اسم "ماسة".

تعلق هنا سماح عن هذه المناسبة:" ماسة، جاءت، كمسك ختام لحياتي مع محمد، في سياق ما، هي جوهرة حياتنا".

مع قدوم ماسة، تمكن الأب محمد من شراء شقة جميلة في الطرف الشرقي من مخيم جباليا وتحديدا في حي تل الزعتر.

في تركيبة الشخصية للأبناء الثلاثة، وبفهم غريزة الأمومة، تصف سماح أن الطفل عميد عبارة عن خليط بينها وبين محمد، إذ كان حيويا ونشيطا وسريع البديهة واجتماعيا وعفوي وبسيط، وأخطاؤه كثيرة.
أخذ نشاطه من والده، يحب لعبة كرة القدم كثيرا واللعب على الدراجة الهوائية، لكن رغم حالة اللهو التي كانت تعتليه، إلا أنه كان يشعر بالمسؤولية على أخوته فهذه النقطة عززها فيه والده.
من الصفات الطافحة التي اكتسبها عميد من والده أنه كان حنونا، تفسر الأم هذه الصفة مستذكرة:" فجأة، يدخل عليا عميد حامل وردة وجايبها بمناسبة عيد الأم، وكان يقتطع من مصروفه اليومي ويجمع المبلغ ليحضر لي هدية في تلك المناسبة".
أما عن ركان، فهو نسخة كربونية عن والده شكلا ومضمونا، هكذا تصفه الأم، لكن كان قليل الاختلاط بمحيطه. شخصية هادئة عنيدة، يحاور ويجادل بالمنطق، يحب الألعاب الإلكترونية، ركان متفوق في دراسته، كان الأول على جميع طلاب المدرسة. تكمل الأم عن صفات ابنها:" ركان كان يحب الأكل".
ركان وعميد مشجعين متيمين بالفريق الاسباني ريال مدريد، فيما والدهم محمد كان يشجع الغريم نادي برشلونة.
تكمل سماح الام: "من أجمل اللحظات أو الأحداث لما تكون في مباراة تجمع الفريقين، كان عميد وركان ضد أبوهم في التشجيع، وكنت أسمع حواراتهم المتعصبة، كنت أشعر أنهم أصدقاء وبنفس مستوى العمر".
تسترسل الأم بالحديث عن أبناءها الثلاثة وتنتقل سريعا إلى ماسة الصغيرة:" هذه البنت بجيتها غيرت حياتنا، ماسة حبيبة أبوها، الكل يزعل عند محمد إلا ماسة ما تزعل".
"سماح الصغيرة" هذا لقبها، ماسة متعلقة في والدها تعلق عجيب. طفلة ضحوكة حيوية وحنونة.تختم سماح:" ماسة حلوة.. ماسة بمعنى الكلمة".
مغرمة عائلة محمد وسماح بأكلة المقلوبة، وهي أشهر مأكولات المطبخ الفلسطيني، وتفصل أكثر سماح في علاقتهم بمائدة الطعام، أن زوجها وركان وماسة يفضلون دوما الطعام الذي فيه أرز، أما الأم وعميد يفضلون المأكولات البحرية.
لم تخطط الأم وحتى الأب لمستقبل الأبناء في الدراسة، فهذه حرية الأبناء هكذا اتفق الزوجين، كل ما عليهما فعله هو أن يوفرا السبل كافة لتطوير امكانياتهم وتوفير سبل التميز الدراسي.

لم يبق أحد

هناك تكتيك يتبعه سكان أطراف مخيم جباليا خلال التصعيدات المتكررة على قطاع غزة والتي وصلت لـ ١٩ تصعيدا من بينهم ثلاث حروب سبقت أحداث السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣، هو النزوح داخليا.
ومعنى هذا، أن السكان في الاحياء المطرفة، للمخيم يسارعون وقت بداية التصعيدات أو الهجمات، للجوء إلى عمق المخيم أو إلى منازل أباءهم. إذ يعتبرون هذه الأماكن أكثر أمنا. وخاصة من ناحية التنقل بين الأزقة والوصول بسهولة لسوق المخيم لتأمين مستلزمات الحرب.
في اليوم الأول من السابع من أكتوبر، حمل محمد نفسه وماسة واخذ زوجته وطفليه وأوراق الثبوتية والأوراق المهمة ووضعوها في حقيبة صغيرة، واحتمى في منزل والده حيث "حي السنايدة".

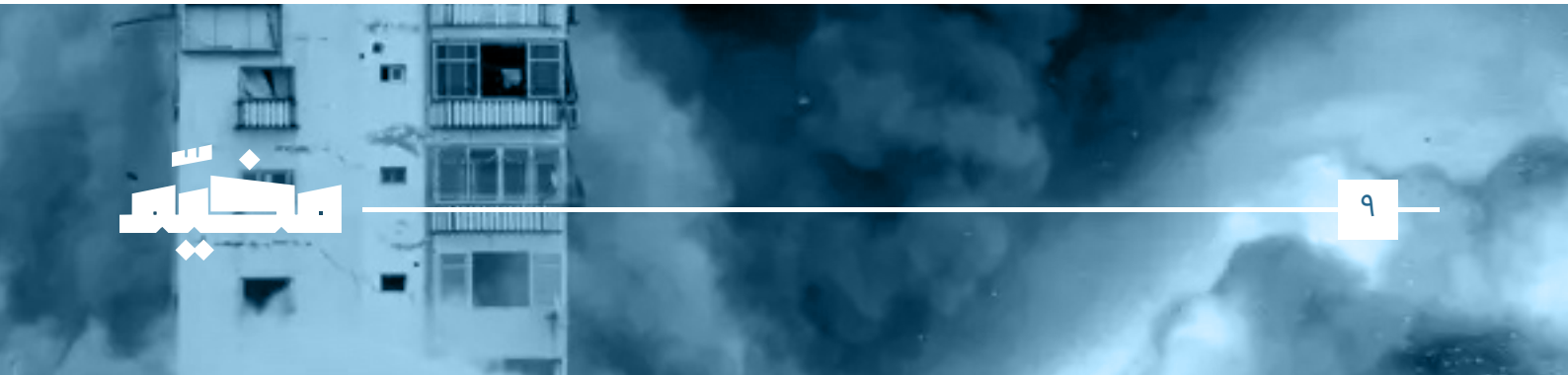

كما قلنا سلفا، المنزل مكون من ثلاث طوابق، ثلاثة من أخوة محمد متزوجين في ذات المنزل، فيما محمد وأخوة ثلاثة أخرين يقطنون في منازل اخرى.

ووزعت العائلة نفسها على المنزل كالتالي، في الطابق الأرضي احتمت الأم زينب "٧٤ عاما" بصحبة عائلة ابنها الكبير ويدعى رائد "٤٩ عاما" كان يعمل ضابطا، وزوجته تحرير "٤٣ عاما"، وابناءه سجى "٢٣ عاما" وابنه نعيم "٢١ عاما" وابنه أحمد "٢٠ عاما"، وابنه معاذ "١٨ عاما".

في الطابق الأول كان يقطن فيه بالأساس شقيقه ثائر "٣٥ عاما"، وزوجته سماح الكفارنة" ٣١ عاما"، ولم ينجبا بعد. احتمى فيه محمد وسماح وأطفالهم الثلاثة.

أما الطابق الثاني، كان يقطن فيه شقيقه الأخر ويدعى نائل "٣٤ عاما"، وزوجته اسلام الشعرواي" ٣٢ عاما"، وطفليه على سبعة أعوام، ومحمد ستة أعوام، واحتمى عنده شقيقهم الرابع ياسر" ٣٧ عاما"، وزوجته أنوار بكر "٣٣ عاما"، وأطفاله الأربعة الصغار (بهاء – نور – لما – ألما).

وعن الطابق الأخير كان عبارة عن غرفة واحدة، يمكث فيها شقيقهم بلال"٣٩ عاما"، وزوجته روند "٣٢ عاما" وأطفاله الأربعة (موج- كنان- جوان- ميرال). أكبرهم ١٢ عاما وأصغرهم ميرال أربع سنوات.

تقريبا وصل عدد من في المنزل، قرابة ٣١ شخصا، بينهم أكثرمن ١٥ طفلا، لم يتجاوز أعمارهم عن عشرة أعوام.

ولأن الشيء بالشيء يذكر يتشابه منزل عكاشة من ناحية عدد المحتمين أو السكان في كل منزل في حي السنايدة أو مربع بلوك "٦ "، أي عدد المنازل الموجودة في الحي التي تتجاوز ٤٠ منزلا، أقل منزل فيها قرابة ٣٠ شخصا. ومعظم تلك العوائل هي عائلة متشجرة ومركبة.

عصر يوم ٣١_ ١٠_ ٢٠٢٣، وتحديدا في الساعة ٢:٤٠ دقيقة، ارتكبت "إسرائيل" أكبر مذبحة منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، حين ألقت قرابة ستة قنابل على حي السنايدة، أو بلوك "٦" في عمق مخيم جباليا في نصف دقيقة.

أسلوب القصف الإسرائيلي للمربع السكني الذي أغلب منازله مغطية بالكرميد وبجدران عمرها ٦٠ عاما، جاء ضمن تكتيك عسكري إسرائيلي، يعرف بالحزام الناري، وهذا استخدمته إسرائيل لأول مرة في عدوان مايو عام ٢٠٢١، ومعنى الحزام الناري، هو ضرب مساحة صغيرة بعشرات الصواريخ في أقل من نصف ثوان لا تتدعى الدقيقة.

حتى صياغة هذه القصة لم يعرف عدد القنابل التي تم باستخدامها قصف المربع الذي يحتوي على أكثر من ألف شخص و٤٠ عائلة، من خلال تقصي ميداني تبين أن العدد من بين ستة إلى ثمان قنابل، تزن كل قنبلة ٢ طن.

إحدى تلك القنابل الثقيلة والمتطورة بأحدث التقنيات والمواد المشعة سقطت بشكل مباشر على منزل عائلة عكاشة، وحولت تلك الأدوار الثلاثة إلى حفرة كبيرة، واختلطت أشلاء النساء والاطفال والرجال عظامهم ولحومهم بالركام والحجارة.

وحتى كتابة الفقرة هذه، لم يعرف عدد الضحايا الأبرياء الذين ارتقوا في تلك المذبحة، فخلال إجراء تحري مكثف امتد لعام، ومن خلال أحاديث مختلفة مع طواقم الاسعاف وحتى مصادر من صحة وزارة شمال غزة لم يتوصلوا حتى الآن لعدد دقيق للضحايا، اجتمعت الأقوال على أن العدد وصل لـ ٦٠٠ شهيدا وإصابة قرابة ٤٠٠ شخصا.

علما أن بعض العائلات في ذلك المربع قد مسحوا من السجل المدني ولم يبق لهم أثر، لا جثة ولا منزل ولا

لا جثة ولا منزل ولا حتى شخص على قيد الحياة يخبر عنهم أو يحافظ على سلالتهم، كل ما عثروا عليه لتلك العوائل التي مسحت كان ليس إلا القليل من بقايا أجسادهم.من بين تلك العوائل، عائلة أبو سلطان، وعائلة محمد أبو نصر، وعائلة البهلساوي، وعائلة فلفل.

بحسب وزارة الصحة ذكرت أن حوالي ١,٤١٠ عائلة قد مُسِحت بالكامل من السجل المدني (أي بلا أي ناجٍ) ولكن هذه النتيجة صدرت خلال الإبادة ولم تخرج حتى الآن الإحصائية النهائية.

ويصنف مخيم جباليا على أنه أكثر الأماكن التي تعرضت للمجازر إذ لم تحصى عدد المجازر التي وقعت هناك، لكن كل ما هو معروف أن "إسرائيل" حولت ذلك المخيم إلى أرض قافرة. عدمت كل أنواع الحياة هناك.

عشت في ذلك الحي، قرابة ستة أعوام من مرحلة طفولتي، أحفظ فيه وجوه جميع أبناء الحي كباره وصغاره، وأحفظ لون بوابة كل منزل، يتشابه أبناء ذلك الحي في أطباعهم العامة وحتى لهجتهم، لكن رغم أنك تشعر أنهم نسخ كربونية عن بعضهم، إلا أن كل عائلة لها طبعها الخاص حتى أن لكل عائلة رائحة مميزة، بعض تلك العوائل رائحتها قريبة من رائحة القرنفل، ومثلا عائلة أبو سلطان، كانت رائحتها معطر الليمون الأرضي، وعائلة يغلب عليها رائحة القطط. وعائلة أبو محمد أبو نصر يسيطر عليها رائحة ورق أشجار منبعثمن شجرة توت كبيرة عمرها ٦٠ عامافي باحة منزلهم. وهذا ما تأكده سماح التي اختلطت بجمع سكان الحي الذي كان عبارة عن عائلة كبيرة موزعة على عدة منازل.

حي سنايدة كان عبارة عن مجتمع داخل مجتمع، فيه طبيب، ومعلم، ومهندسة، ومغني راب، وحارس أمن، وضابط، ومريض، ومربي قطط، وعاطل عن العمل، وعشرات من الأحلام على شكل أطفال لم يبلغوا سن الرشد بعد، لم ولن يكونوا أرقاما، بل كانوا عشاق للحياة وأحلامهم تعانق السماء وتطوف الأرجاء. نعم كانوا مجتمع متاكمل. جميعهم رحلوا بأجزاء من الثانية، أو بضغطة زر.

عودة إلى الحياة

لحظة تلك الهجمة كان محمد أبو القمصان "٢٥ عاما" رجل الإسعاف وهو ابن حي السنايدة ينقل ضحايا من مجزرة وقعت في محيط مستشفى الإندونيسي، أي يبعد عن مكان المذبحة قرابة عشر دقائق سيرا على الأقدام.

ومع اللحظات الأولى من تلك المذبحة، جاءت الإشارة عبر شبكة إرسال غرفة الدفاع المدني أن الهجمة الشديدة هي لـ بلوك "٦". حينها بدل من أن يصعد محمد لمركبة الاسعاف، ومن شدة الصدمة وخوفا على جيرانه وأهله ركض مسرعا.

حين وصل وصف المشهد كالتالي:" سحابة سوداء كبيرة، صراخ في كل مكان، تدوس بأقدامك على نصف جثة، جثث أطفال مهشمة الرؤوس، تشعر كأن ديناصور دخل المكان وحطم المكان بأقدامه، أو أن نيزكا عملاقا سقط من السماء وارتطم في الحي، كل شيء أصبح بحفرة كبيرة سوداء ورائحة البارود والدماء في كل مكان".

بصعوبة استجابت سماح لإجراء مقابلة حول تلك الحكاية، كانت ترى أنها ليست بحاجة شفقة أو عطف من أحد، ولكن حين استشعرت أن ما يكتب عنها سيعكس حياة سماح الإنسانة والشاهدة على الجرم الإسرائيلي وتخليدا للأناس التي عاشت معهم في ذلك الحي، فتحت قلبها وذاكرتها المبتورة.

تقول سماح الجريحة بعبارة متقطعة:" كل من دخل في ذاكرتي خلال المدة التي عشتها في غزة، إسرائيل قتلتهم، لقد مسحتهم إسرائيل عن هذا الوجود، وما تبقى منهم لقطات خاطفة وذكرى قصيرة خاصة بي".

تكمل في منحنى مختلف عن وقع القول الأول وبإسرتسال :" الحمد الله.. وبرغم كل اللي حصل(..) عمري ما اندمت على هذه الغربة أو التجربة، ولو يرجع فيا الزمن راح اختار هذه الحياة، برغم كل الي حصل معي، لأنه محمد كان أجمل شيء في حياتي، واكتملت حياتي بعميد وركان وماسة".

كل ما تفعله سماح في يومها الآن بجانب أنها تمكث أغلب وقتها على سرير المرض وتتحرك فقط للحاجة الضرورية وبمساعدة أمها، إما تقليب صور محمد وعميد وركان وماسة على هاتفها، أو تقليب ذكرياتها معهم في داخلها. تبكي مرة، تبتسم مرة، تصمت طويلا. لكن لديها ثقة تامة أنها ستلتقي بهم يوما ما في مكان ما. فهي متمسكة بنور أو أمل تلك العبارة التي سمعتها؛" حتجمتعي فيهم. لكن وقتك مش الآن".

عزيزنا القارئ، الجريح منكم والنازح ، إلى الأم المكلومة، والأب المثقل بعبء هذه الإبادة، إلى طالب العلم المبتور، وإلى زوجة الشهيد وشقيقته، وإلى سكان الخيام، وإلى كل شخص عاش زمن الإبادة وما زال يعيـــش أوجاعهـــا؛ اسمحوا لنا أن نكون منبرًا لكـــم.

شاركونا قصتكم عبر بريدنا الالكتروني

إلى الأرباب الأسرة بغزة.. هذا سلاحك !

غزة _ سعيد حمد

لا يمكن لأحد أن يتصور حجم ما تعرض له أهالي قطاع غزة، طوال فترة الإبادة التي امتدت قرابة ثلاثة أعوام، إذ عاشوا فصولا من القتل الجماعي والنزوح والتشريد، وأشهر طويلة من المجاعة وصلت إلى أن يأكلوا أعلاف الحيوانات.

أكثر الأشخاص، قهرا وإرهاقا طوال تلك الفترة وانعكاساتها وقت صياغة هذه النص، هم أرباب الأسر من كلا الجنسيين، مع الأخذ بالاعتبار أن بنسبة ٨٠٪ من عوائل القطاع أصبحت الخيمة منزلها المؤقت، بعد تدمير الاحتلال الصهيوني قرابة ٩٣٪ من منازل السكان في غزة بشكل كلي.

أمام هذا الواقع، ظهرت تحديات أمام المواطن في غزة، اتجاه أسرته في المقام الأول، إذ طفت على السطح مشاكل أسرية بشكل متزايد، من خلال تبدل الأدوار وغياب دور المسؤولية وارتفاع نسب الطلاق ونسبة الزواج المبكر، كذلك صعوبة الحصول على لقمة العيش وانقطاع آلاف مصادر الرزق وتحديدا لأباء الأسر، الأمر الذي أدى إلى تفكك الأسرة تدريجيا.

لا يمكن القول إن حال واقع الأسرة بغزة قد أصبح تفككها ظاهرة اجتماعية، مع أخذ الاعتبار أن انعكاسات الإبادة أو الحرب الطويلة والتي استهدفت المدنيين بشكل رئيسي، كان متوقعا أن الضحية الأولى لها هي الأسرة.

لكن لأن الشيء بالشيء يذكر، وأمام توسع بقعة التفكك الاجتماعي التي بات يتلمسها الشارع في غزة، والتي ومن الممكن أن تزداد مع مرور الأيام وتصبح ظاهرة، لا يمكن أن نبقى في دائرة الأسباب والمبررات فيما نستأصل فكرة البحث عن أدوات ترميم الأسرة الفلسطينية بغزة.

بلا شك إن التسريع من عملية الإعمار، وإدخال على الأقل كرفانات أو منازل خشبية مؤقتة، مع البحث عن استراتيجية طارئة لرفع مستوى المعيشي ، قد يحد نوعا ما من انهيار الأسرة بغزة، لكن هذه عناصر مادية لا تكفي للنهوض بشكل حقيقي أو على الأقل النجاة بالأسرة قبل وقوعها في وحل الانهيار المجتمعي.

لذلك، يلزم بجانب المقومات المادية التي ذكرنا جزء منها ، أن يسبقها تعزيز منظومة القيم والأخلاق والوعي لكل فرد مسؤول. ففي سياق ما، عدونا الأول قبل أي شيء هو أنفسنا، فتطهيرنا وترميمنا من الداخل هو المطلب الرئيسي، وهنا، أول عتبات تعزيز تلك المنظومة هي أن يعرف كل فرد مدرك دوره الحقيقي، وأن يتقنه بإيمان حقيقي، إيمان بنفسه وبالأرض وبالله عز وجل.

في التفاصيل، وجب أن ننظر للقدر والرزق على أنها شيئان لا علاقة لنا بهما، هما من عند الرحيم الرزاق، ولو سأل الواحد فينا نفسه سؤالاً: كيف يقلق على شيء ليس يملكه؟!

(ليس لك من الأمر شيء)، هذه قيلت لأحب الخلق على الله تعالى، قيلت للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي

تنبيه له ولأمته معناه: يا محمد لا تتدخل في الأقدار، فقط اعبد الله كما أمر والمستقبل يقدره رب الأقدار.

والأمر الأخر، أمر صحي أن منغصات الحياة لا تنتهي، والحياة بدون ضنك لا تستمر، ولو فهم الإنسان أنه ينبغي عليه أن ينهض بعد عوارض الحياة ومنغصاتها لن يتعب كثيراً، وهذه رسالة للأزواج، الابتعاد عن تصيد أخطاء الشريك والتجاوز بقدر المستطاع والنظر إلى الجانب الإيجابي من الشريك.

فيما نصيحة خاصة للعوائل المرموقة في غزة والتي بلا شك كانت من ضحايا هذه الإبادة، من الجميل أن تقتنع تلك الأسر بالبساطة التي تعتبر حلاً سحرياً لأي ظروف.

إذ قال رسول الله صلى الله علي وسلم في حديثه (من أصبح منكم اليوم آمناً في سربه معافاً في بدنه عنده قوت يومه فقد حيزت له الدني).

وعطفا على ذلك، واستندا لقوله تعالى: (لا تمدن عينيك).أي لا تنظر لغيرك، هذا عنده كذا وهذا يفعل كذا، وهذه اشترت كذا؛ بل انظر لنعمة الله بين يديك ولا تكفرها ولئن شكرتم لأزيدنكم.

في الخلاصة، كاتب هذا النص من قطاع غزة، يعيش ما تعيشون من كد وقهر، وليس منفصلا عن واقعه، كل ما يفعله يحاول أن يطبق ما كتبه لكم، لأنه يرى من منظوره الشخصي البسيط أن ما ذكره سلفا جزء من طوق النجاة للأسرة بغزة.

صورة العدد

مدرسة "مدى" التعليمية في مخيم جباليا

عـــن بقعـــة الضـــوء

الدكتور محمود النجار - باحث أكاديمي

في ظل الظروف الإنسانية القاسية التي يعيشها قطاع غزة نتيجة انعكاسات الإبادة التي امتدت لعامين ونصف، تحولت الخيمة من مجرد مأوى مؤقت إلى فضاء اجتماعي ضاغط يعكس حجم المعاناة التي تمر بها آلاف العائلات النازحة. وبين أقمشة الخيام المهترئة، وضيق المساحة، وغياب الخصوصية، تتشكل تحديات جديدة لا تقتصر على فقدان المسكن، بل تمتد إلى النسيج الاجتماعي للأسرة، وإلى مستقبل الأبناء التعليمي. لقد فرضت الحرب واقعًا مأساويًا على كثير من العائلات، حيث وجدت نفسها مضطرة للعيش في خيام تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة الكريمة. وفي مثل هذه البيئات، تتراجع مظاهر الاستقرار الأسري، وتزداد الضغوط النفسية والاقتصادية، الأمر الذي يؤدي إلى نوع من التفكك الاجتماعي داخل الأسرة نفسها. فالخيمة، بطبيعتها المؤقتة والمحدودة، لا توفر المساحة الكافية للحياة الأسرية الطبيعية، ولا تمنح الأطفال البيئة الهادئة التي يحتاجونها للتركيز والتعلم.

إن فقدان الخصوصية، وتزاحم الأفراد في مساحة ضيقة، واستمرار القلق الناتج عن أصوات القصف أو الخوف من المستقبل، كلها عوامل تؤثر بصورة مباشرة في قدرة الأبناء على التركيز في طلب العلم. كثير من الأطفال باتوا يجدون صعوبة في متابعة دروسهم أو الاحتفاظ بانتباههم لفترات طويلة، ليس بسبب ضعف قدراتهم، بل نتيجة البيئة المحيطة التي أصبحت طاردة للتعلم.

وفي هذا السياق، برزت الحاجة إلى تدخلات مجتمعية عاجلة تسهم في حماية حق الأطفال في التعليم. ومن هنا جاءت مبادرة مدى الشبابية التعليمية والتي تمثلت في إنشاء مدرسة تعليمية وجاهية من قبل شباب مخيم جباليا المدمر، بهدف توفير مساحة آمنة وهادئة للأطفال، بعيدًا عن ضجيج الخيام وضغوطها النفسية والاجتماعية.

" مدى"، لم تكن مجرد مكان لتلقي الدروس، بل مثلت بيئة بديلة تعيد للأطفال شيئًا من الشعور بالاستقرار والانتماء. فقد ساهمت في خلق أجواء تعليمية رغم قلة الإمكانيات والتحديات، فالمدرسة تحاول أن تساعد الطلاب على استعادة التركيز، وتنظيم الوقت، وإحياء روح التفاعل بين الطلبة والمعلمين. كما لعبت دورًا نفسيًا مهمًا من خلال منح الأطفال مساحة يشعرون فيها بالأمان والأمل، بعيدًا عن أجواء النزوح والاضطراب. أخيرا، وفي الوقت الذي تستمر فيه معاناة العائلات داخل الخيام، تبقى مثل هذه المبادرات بارقة أمل تؤكد أن الإرادة الإنسانية قادرة على صناعة الحياة حتى في أكثر البيئات قسوة، ومن جانب آخر هي رسالة للأباء والأمهات وأرباب الأسر على التمسك بجوهر الأشياء كتعليم الأبناء، والتعالي على الخلافات العائلية التي بلا شك ضحيتها الأجيال.

شخصيات وأيقونات

عالم الفيزياء سفيان تايه

ابـن مخـــيم جبـــــــاليا

هناك مقولة دارجة كانت أثناء الإبادة على قطاع غزة التي اندلعت في السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣، " الجيش الإسرائيلي قتل أجمل من فينا"، ويقصد من هذه العبارة أن (إسرائيل) قد قتلت بشكل ممنهج الشخصيات والعلماء والأطباء كان لهم أثرا واضحا في قطاع غزة.

نبذة تعريفية: الشهيد العالم سفيان تايه، أكاديمي وعالم فيزياء فلسطيني، تولى منصب رئيس الجامعة الإسلامية في قطاع غزة، وكان أحد الرواد بمجالي الفيزياء والرياضيات التطبيقية.

المولد والنشأة:

ولد العالم تايه في مخيم جباليا بغزة، يوم ٢٠ أغسطس/آب ١٩٧١، ونشأ في مخيم جباليا الواقع شمال القطاع، ودرس بمدينة غزة وعمل بها.

المسيرة العلمية والمهنية:

تلقى سفيان تايه تعليمه النظامي في مدارس مخيم جباليا حيث ولد، وتحديدا في مدارس وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)

ثم التحق بالجامعة الإسلامية بغزة ودرس تخصص الفيزياء، وأنهى مرحلة البكالوريوس عام ١٩٩٤، وعمل بعدها في الجامعة نفسها معيدا، ثم مدرسا لما بعد الماجستير، فأستاذا مساعدا.

وعام ٢٠٠٤، بدأ العمل على رسالة الدكتوراه وأنهاها عام ٢٠٠٧، ليعود بعد ذلك لاستئناف العمل بالجامعة الإسلامية في غزة.

وأثناء دراسته للدكتوراه، اعتقل جيش الاحتلال سفيان تايه عند معبر رفح عام ٢٠٠٥ إبان توجهه إلى مصر لاستكمال إجراءات تقديم رسالته بجامعة عين شمس. وفقا لموقع الجزيرة نت.

وعام ٢٠١٨ عُيّن أستاذا مساعدا عاما، ويقول عن عمله بالجامعة الإسلامية "أدركت منذ اللحظات الأولى أن مهمة الجامعة ليست التدريس وتخريج الأجيال، وإنما البحث العلمي وخدمة المجتمع ثم التدريس، والمهمة الأساسية هي البحث العلمي".

وحصل سفيان تايه على درجة الأستاذية في تخصص الفيزياء النظرية والرياضيات التطبيقية. وفور إنهائه

الدكتوراه عام ٢٠٠٧، انضم إلى فريق بحثي بالجامعة الإسلامية، ويعزو الفضل الأول في مسيرته العلمية لهذا الفريق.

وتولى بعدها في الجامعة الإسلامية منصب رئيس قسم الفيزياء منذ عام ٢٠٠٨ حتى ٢٠١١، كما عُين رئيسا للجامعة في أغسطس/آب ٢٠٢٣.

الجوائز والتكريمات:

حصد تايه على جائزة البنك الإسلامي الفلسطيني للبحث العلمي لعامي ٢٠١٩ و٢٠٢٠.

في مارس/آذار ٢٠٢٣ عُين حاملا لكرسي اليونيسكو لعلوم الفيزياء والفيزياء الملكية وعلوم الفضاء في فلسطين.

حصل على جائزة عبد الحميد شومان للعلماء العرب الشبان.

فاز بجائزة الجامعة الإسلامية للبحث العلمي لعام ٢٠٢١.

الوفاة:

في يوم السبت ٢ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٣، وبعد انتهاء الهدنة المؤقتة بين المقاومة وقوات الاحتلال، استشهد العالم سفيان تايه وعائلته إثر غارة إسرائيلية استهدفت منطقة الفالوجا في جباليا شمال غزة، وقدر عدد الضحايا في تلك المجزرة قرابة ٦٠ شهيدا

تعـــــرف علـــى منطقـــتك

المواصي.. أكبر مخزون مياه عذبة

عزيزي القارء الجالس في إحدى خيام "مواصي" خانيونس. هل تعلم سبب تسمية المكان الذي تتواجد فيه الآن؟

سأختصر عليك الحكاية، لقد سُميت منطقة المواصي بهذا الاسم نسبةً إلى الطريقة التقليدية التي كان السكان يستخدمونها لاستخراج المياه العذبة من باطن الأرض.

لذلك تعود أصل الكلمة أو أصول التسمية، إلى قيام المزارعين والسكان بـ "مَصّ" أو سحب المياه العذبة من خلال حفر آبار سطحية صغيرة في المناطق الرملية القريبة من الشاطئ، واستخدامها في الري والشرب.

من حيث المساحة، تمتد بطول ١٢ كيلومتراً على الساحل، بدءًا من المناطق الغربية لدير البلح بوسط غزة وحتى خان يونس ورفح جنوبا.

تشكل المواصي نحو ٣٪ من مساحة القطاع البالغة ٣٦٥ كيلومتراً مربعاً، ومعظم أراضيها عبارة عن تلال رملية، يصفها الخبراء بأنها " سلة غذاء القطاع" نظرا لأن فيها أكبر مخزون مياه عذبة في قطاع غزة.

آراء ومدونات

إعدام الأسرى لا يحتاج قانوناً

كتب// زياد بركات راوئي وصحفي فلسطيني

تصف منظمة هيومن رايتس ووتش قانون إعدام الأسرى الذي أقرّه الكنيست أخيراً بأنه "تمييزي"، وهذا ليس اكتشافاً، إذ سبق لدول أوروبية عدّة أن أطلقت عليه الوصف نفسه الذي يرسّخ "نظام الأبارتهايد المُمأسس الذي تفرضه إسرائيل على جميع الفلسطينيين الذين تتحكّم بحقوقهم"، كما أكّدت منظمة العفو الدولية (أمنستي) قبل نحو شهرَين. وبعيداً من أيّ توصيف قانوني، ما خلص إليه تقرير لهيومن رايتس ووتش يبدو أكثر توفيقاً وتعبيراً عن جوهر القانون الذي يهدف، ببساطة، كما قالت المنظمة الحقوقية، إلى "قتل المعتقلين الفلسطينيين بشكل أسرع وبرقابة أقلّ".

وتفيد تقارير نادي الأسير الفلسطيني ومؤسّسة الضمير بأنّ أكثر من مائة أسير قُتلوا داخل الزنازين الإسرائيلية، تحت التعذيب، منذ "٧ أكتوبر" (٢٠٢٣)، ولم يتطلّب الأمر قانوناً "تمييزياً" يشرّع هذا، فالممارسات الإسرائيلية على الأرض وعلى اللحم الحي للضحايا الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ لم تكن يوماً في حاجة إلى قوانين من أيّ نوع، فهي الأصل الذي يُملي القوانين ويُشرّعها، وسوى ذلك نوع من العبث أو البروباغاندا الرخيصة التي تسعى لتصدير صورة إسرائيل دولةً تنتمي إلى العالم المعاصر وتمتثل للقوانين، وما هي كذلك، لا اليوم ولا في الأمس. فمنذ احتلال ١٩٦٧، اعتقلت إسرائيل ما بين ٨٠٠ ألف إلى مليون فلسطيني أو أكثر، في حال احتساب تكرار حالات الاعتقال، ما يعني أنّ واحداً من كلّ خمسة أو أربعة فلسطينيين تعرّض للاعتقال منذ ذلك التاريخ، وهي من أعلى النسب في العالم.

الحديث هنا، للدقّة، عن أكبر سجن في التاريخ، إذ لم يسبق لدولة أن مارست هذا النمط المتكرّر من الاعتقالات على مدار نحو ستين عاماً، بلا توقّف، وبلا مبرّرات تتسق مع القوانين الدولية، وإذا أضيف إلى هذا الإغلاقات وتقييد حركة التنقّل بين المدن والقرى، وهذا نمط متكرّر، والمنع من السفر خارج الأراضي الفلسطينية المحتلة، الذي أصبح قاعدةً لا استثناءً، نكون أمام أسوأ معتقل عرفته البشرية منذ نفي آدم إلى الأرض.

ماذا تريد إسرائيل؟ لا تريد نفي الفلسطينيين أو حتى تهجيرهم قسرياً فقط، بل قتلهم وإبادتهم، لذلك يبدو وصف قانون إعدام الأسرى بـ"التمييزي" قاصراً عن فهم الممارسات الإسرائيلية، ومهذّباً بشكل بالغ مقارنةً بالوقائع. والخشية الآن (وهي مبرّرة) أن تتزايد وتيرة القتل استناداً إلى القانون أو في غيابه، وأن يشمل مئات من أصل نحو عشرة آلاف أسير فلسطيني حالياً في السجون الإسرائيلية.

تساءل إيتمار بن غفير (وزير الأمن القومي الإسرائيلي) قبل عدّة أشهر عن السبب الذي يجعل "دولته" توفّر خبزاً طازجاً للأسرى كلّ صباح، وتعهّد بألا يستمرّ هذا "الترف" في عهده. ولاحقاً زار بن غفير الأسير الفلسطيني مروان البرغوثي في زنزانته وتعمّد إهانته وترويعه، وهدّده بالقول إنّ مصير من يهدّد إسرائيل سيكون "المحو". والظنّ (ونتمنى ألّا يحدث) أن يكون البرغوثي من أوائل المستهدَفين بالقانون الجديد، سواء سُحب أو اعتمدته حكومة نتنياهو، خصوصاً أنّ أنصاف الكائنات الحيّة من أمثال بن غفير لا يتورّعون عن فعل شيء، فهم يتعاملون، وفق وزير الدفاع السابق يوآف غالانت، مع "حيوانات بشرية"، كما قال في تبرير المذبحة المفتوحة وغير المسبوقة التي ارتكبها ورهطه من مجرمي الحرب في قطاع غزّة بعد "٧ أكتوبر".

تعرّض البرغوثي مراراً للتنكيل في محبسه، كُسرت أضلاعه ووُجهت إليه ضربات عنيفة، على رأسه ووجهه تحديداً، بغرض قتله، وتعرّض وما زال للعزل، ومُنعت أسرته ومحاميه من زيارته، ما يزيد من الأخطار المحدقة بحياة هذا الرجل الذي يتمتّع برمزية عالية بين الفلسطينيين. ولا يقتصر الخطر الداهم على البرغوثي وحده، فهناك نحو ١٢٣٧ أسيراً تصنّفهم إسرائيل تحت خانة المقاتلين غير الشرعيين، ومنهم الطبيب الغزّي حسام أبو صفية، التي تفيد التقارير بأنّ حالته في تدهور متسارع في زنزانته، جرّاء التعذيب والعزل، ويضاف إلى هؤلاء محكومون بالمؤبّدات، ما يعني أنّ مجزرةً مفتوحةً على العالم تنتظرهم، ولا يكفي في وصف هذا كلّه القول إنّ القانون الجديد تمييزي، بينما هو فصل جديد من إبادة متواصلة كانت ذروتها في غزّة.

قد يسأل أحدنا من داخل الخيمة أو على سرير المرض: ماذا يفيد الكلام؟ لكن، وعلى قاعدة أن "الكلمة" هي معجزة الله الباقية، وبجانب أننا أصحاب حق ومن أولياء الدم، قد يكون من الواجب والضروري على كل شخص مدرك وواعٍ بغزة أن يقوم بواجبه بقدر ما استطاع. وعلى هذا انطلقت فكرة هذه المجلة التي ستصدر بشكل دوري.

غزة - فلسطين

ابريل ٢٠٢٦